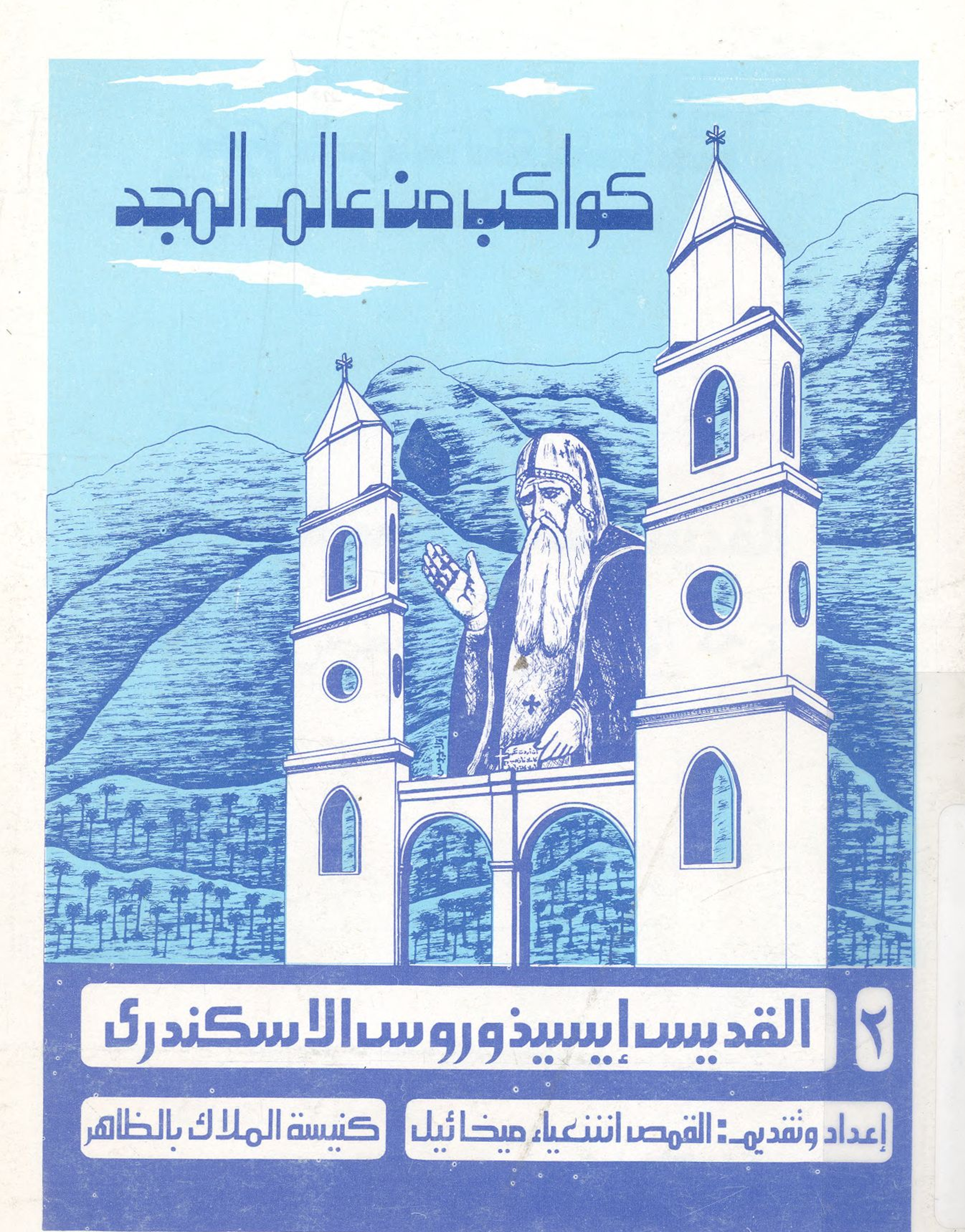


٢ القديس إيسيذوروس الاسكندرى

إعداد وتقديم: القمص اثناسيوس ميخائيل

كنيسة الملاك بالظاهر

كواكب من عالم المجد

٢ القديس إيسيذوروس الاسكندرى

ترجمة الأب القديس بطرس السدمنتى

إعداد وتقديم القمص أشعياء ميخائيل

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٧٩٨



قداسة البابا شنوده الثالث

تـــــــقديــم

كثيرون يظنون أن حياة القداسة قاصرة على الذين تبتلوا وسلكوا فى طريق الرهبنة الأمر الذى جعلهم يعتقدون أن القديسين هم وحدهم الذين يكونون من بين الرهبان فقط . وأن الزواج يبعد الأنسان عن طريق القداسة . والحقيقة أن هؤلاء نسوا شهادة الكتاب عن الزواج . «أن هذا السر عظيم» وقوله أيضاً عن زكريا واليصابات «وكان كلاهما بارين أمام الله» (لو١ : ٦) لذلك قصدنا أن نقدم للقارىء العزيز **صورة من صور القدسة لأنسان متزوج هو القديس ايسيذورس الأسكندرى الذى عاش مع زوجته فأنجبا أولاداً وسلكا فى طريق الفضيلة** وقد مارسا فضيلة العطاء والصدقة وحينما سمح الله لهما بحياة الفقر والعوز مارسا فضيلة الرضا والشكر وبهاتين الفضيلتين (العطاء والشكر) استطاعا أن يدخلا الفردوس وينعما مع القديسين .

لذلك لم تعد حياة القداسة قاصرة على طريق الرهبنة.

بل إن حياة القداسة هى دعوة لكل أحد أياً كان طقسه ليتبع السيد المسيح ويسلك حسب الوصايا المقدسة المبينة فى الأنجيل وفق ارشادات كاهن مشهود له بالقداسة كما حدث مع القديس ايسيذورس وزوجته.

وما الفضيلة إلا السلوك العملى حسب وصايا الأنجيل.

نطلب من الرب أن يبارك كل نسخة من هذا الكتاب حتى تكون سبب بركة لكل من يقرأها فتفوح رائحة القداسة من بيوتنا وتصير بيوت صلاة وبيوت بركة وبيوت طهارة. والرب يعوض كل من تعب فى صدور هذه السيرة المقدسة.

كما نرجو معونة من الرب كى نستطيع أن نواصل تقديم هذه السير التى هى بحق «كواكب من عالم المجد» وحتى تكون سبب بركة لكل من يقرأها. بشفاعة العذراء مريم ورئيس الملائكة الجليل ميخائيل وصلوات قداسة البابا شنوده الثالث آدام الله حياته لسنين كثيرة سالمة هادئة.

تحريراً فى ٢ / ٣ / ١٩٨٦

شهادة القديس أوسابيوس

القمص إشعياء ميخائيل

كنيسة الملاك بالظاهر

١ ـ مقدمـــة :

بمعونة الله وإرشاد روحه القدوس نقدم سيرة القديس ايسيذورس الأسكندرى. ولا شك أن أخبار الآباء القديسين هى أعظم قدوة وأفضل مثال يهتدى به فالقدوة الحسنة خير واسطة لتهذيب الأخلاق وإليها يعود الفضل فى تطهير الحياة من الشوائب والأنحرافات.

وحياة القديس ايسيذورس الأسكندرى تمثل أعظم مبادىء الفضيلة وحث للعطاء بسخاء للفقراء والمحتاجين. وقد قام بترجمة تاريخ حياتة الأب القديس بطرس السدمنتى.

نسأله تعالى أن يرحمنا برحمتة ويحفظنا فى الايمان المستقيم إلى النفس الأخير بصلواتهما آمين.

سيرة القديس ايسيذورس الأسكندرى

كان الأب الفاضل القديس ايسيذورس من مدينة الأسكندرية ولذلك لقب بايسيذورس الأسكندرى . وكان غنياً ذا أموال كثيرة وله زوجة فاضلة وأبناء مباركون .

وأعتاد هذا الأب وزوجته أن يلازما البيعة ليسمعا كلام الحياة الأبدية ويتناولا من الأسرار المقدسة . وذات يوم سمعا الأنجيل المقدس يقول « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (مت ٥ : ٣) فخطر ببال كل منهما فكر صالح فقال أحدهما للآخر أليس هذا النداء موجه لنا . وأليس هذا يخالف ما نحن فيه من الغنى وسعة الحال وكثرة التنعم وظل هذا الفكر الصالح يطارد القديس ايسيذورس فاضطر أن يذهب إلى أحد النساك بظاهر الأسكندرية ليسترشد برأيه ويستنير بمشورته الصالحة وعرض عليه فكره وفكر زوجته

٢ ـــ العابد يعرض أراء الآباء
فى تفسير عبارة المساكين بالروح

أجاب العابد: يا أخى اختلف العلماء فى شرح هذا القول فمنهم من ذهب إلى أن السيد له المجد أراد من قوله هذا فى عظته على الجبل أن يتجرد الأنسان من الدنيا ويخصص حياته لعبادة الله طوعاً وأختياراً كما فعل بعض الرسل طالبى الكمال لأنهم افتقروا وتمسكنوا بمحض اختيارهم. إنما التمسكن للضرورة وبسبب العسر وضيق الرزق وليس للكمال فهو محمود لا سيما إذا كان صاحبه يقبله برضا ويشكر الله دائماً على فضله واحسانه ويرى البعض الآخر أن المسكين بالروح هو الأنسان الذى يكون محباً للآخرين متواضعاً سهلاً ليناً لا يعتز بنفسه حتى وإن كان غنياً موسراً وهذا الرأى ينقسم إلى نوعين.

ا ـــ الغنى الصالح الشاكر.

ب ـــ الفقير البائس الصابر

١ ـــ فمن النوع الأول : كان داود النبى والملك غنياً ذا أموال كثيرة وبالرغم من ذلك يعترف قائلاً « لأنى وحدٌ ومسكين أنا » (مز٢٥ : ١٦) وأيضاً « أما أنا فمسكين وبائس » (مز٤٠ : ١٧) وأكد هذا القول فى المزمور(٥١ : ١٧) « ذبائح الله هى روح منكسرة القلب المنكسر والمتسحق يا الله لا تحتقره » وقال الثلاثة فتية وهم فى أتون النار لتكن ذبيحتنا اليوم أمامك مسكنة النفس وتذلل القلب وبهذا استدعوا معونة الله فادركتهم وأزالت لهيب الأتون حتى صار كريح ندى وتقربوا من قلب الملك وولاته ومنحهم العطايا ورفع منزلتهم وصاروا أعز حكمائه

ومثل هذه المسكنه أيضاً خلصت سوزانا لما تنهدت وتمسكنت لله وتمسكت به . وخلص أيضاً يوسف من كيد أخوته وعبوديته لهم . وكذلك موسى النبى نجا من قسوة فرعون . وبهذه المسكنة أيضاً بكى حزقيال النبى فجدد له الله خمس عشرة سنة على عمره .

وبالمسكنة خلص منسى الملك من الثور النجاس وأعيد إلى مملكتة . وهذه المسكنة أيضاً جعلت ابراهيم خليلاً لله .

وبالمسكنة أيضاً رفعت بطرس إلى أعلا الدرجات وصار بيده مفاتيح ملكوت السموات.

ومن النوع الثانى: الفقير اليائس الصابر فمثله لعاذر المسكين. إذ كان فقيراً ليس له مال ولكنه كان صابراً قولاً وفعلاً وهكذا يقول المزمور «إليك يسلم المسكين أمره» (مز ١٠ : ١٤) وهذه المسكنة جعلت العشار أفضل من الفريسى.

٣ ـــ ايسيذورس يسأل العابد أى النوعين أحسن

فسأل ايسيذورس العابد: فمن هو الأحسن فى تقديرك. أجاب العابد قائلاً: أنظر إلى ما تقبله نفسك.

٤ ـــ المناقشة بين ايسيذورس والعابد

قال ايسيذورس: إنى أرى أن المسكنة طوعاً وإختياراً هو شرط

للكمال . ولا ينطبق إلا على من قبلها بترك أمواله والزهد فى متع العالم .

قال العابد : قد تقدم القول بأن المسكنة فى النوعين الغنى والفقر كما حصل لإبراهيم و يوسف وداود ممن تقدم ذكرهم .

قال ايسيذورس : هل التجرد من القنية أو المقتنيات يساعد المسكنة أو يخالفها .

قال العابد : استعداد النفس يختلف فى الغنى والفقر والضرر والنفع فاختر لنفسك ما تريده وتفضله على الآخر .

قال ايسيذورس : أتوق إلى الأفضل من النوعين فإذا اخذت أى منهما . كيف أختاره وافضله وإذا كنت لا أعرف الأختيار فإنى أمتحن النوعين لاختبارهما جيداً وفى أى زمان يكون العمل بالأصلح والأنفع .

قال العابد : أرى أنه يجب أن يهتدى الانسان عن طريق مرشد كفء خشية الأمتحان . وأبدأ أولاً بالأسهل عليك والممكن لديك وقابل الأسهل والممكن بغيرهما . فإن أقسام الخير وترتيب الأعمال الصالحة تعرف بمقارنتها بعضها مع بعض وتوصل المتضايق إلى

الغرض الحقيقي. وإذا اجدت العمل وأخلصت النيّة كان الله مرشداً لك. وإن أشكل عليك أمر فاستشر أرباب التجربة العملية وأصحاب الفكرة العقلية. وإن الله يرشد الناس بعضهم من بعض واستعمل الوسائط فى نفع الناس واعلم أن من ينفرد بذات نفسه و يقنع بافكاره يخطىء. أمامن أستشار الغير من أفاضل الناس استنار فكره وصفى عقله من الأقذار وخلا من الأخطاء.

قال ايسذورس: لا يجب أن يؤخذ الأحسن أينما وجد. والحقيقة أنك هديتنى لأن الله أرسلنى إليك وإن الله الهمك بما أنا محتاج إليه وأرشدك فعرفنى أحوالى. وقمت باجابة سؤالى.

قال العابد: أرى أنك تستطيع أن تجمع بين المسكنة بالروح والزهد فى العالم لأن لك زوجة وأولاداً. لكن ابدأ بالمسكنة بالروح وتألم لآلام المساكين وشاركهم فى حالهم وأحتملهم بعظاتك وصبرك فينظر الله إليك وإلى صفاء نيتك وحسن غرضك وإذا أنت طلبت الأفضل ورغبت فيه فهو يعينك إما عن طريق إنسان أو بإلهام.

٥ ـ ايسيذورس وزوجته يقبلان شروط المسكنة بالروح

استوعب ايسيذورس جميع كلام العابد وتبارك منه وطلب دعواته وعاد إلى بيته وقص الأمر على زوجته وكل الحديث الذى دار بينه وبين العابد فوافقته على اختياره ورضيت بما استحسنه والتزم كل منهما بشروط المسكنة بالروح وثابرا على مساعدة الفقراء وإغاثة المساكين فعظم صيتهما وذاع ذكر فضيلتهما وشاع أحسانهما الأمر الذى جعل كلا من القريب والبعيد يقصد عطفهما وصار منزلهما مأوى للغرباء والمساكين فتعودا على ذلك ببشاشة وفرح وكانا يلاقيان من يقصدهما بكل محبة وحسن لقاء. ولقد كان بعض الذين يقصدونهما إذا نالوا من احسانهما شيئاً يمضون فرحين مبتهجين شاكرين الله. أما الذين قد تصيبهم بعض الكوارث ويصيرون فى عسر وعوز فيدخلانهم إلى بيتهما ويقومان بالضيافة عليهم ويسمحان لهم بالمبيت مقدمين لهم الطعام

والكساء دون تذمر أو غضب بل على العكس يعتبرانهم اخوة السيد المسيح الذى قال «لأنى جعت فأطعمتمونى عطشت فسقيتمونى كنت غريباً فآويتمونى . عرياناً فكسوتمونى مريضاً فزرتمونى محبوساً فأتيتم إلىّ» (مت ٢٥ : ٣٥،٣٦)

وكانا إذا أتاهما فى الشتاء القارص قوم ليس لديهم ما يدفعون به البرد يقدمان لهم الغطاء والكساء شفقة بهم ورحمة بحالتهم ولما داوما على هذه السيرة الفاضلة زماناً طويلاً ضعف دخلهما وحارب زوجته ضعف الإيمان وفتر عزمها فى الرحمة على المساكين .

٦ ــ ايسيذورس يقوى إيمان زوجته

لقد حارب الشيطان زوجة ايسيذورس وظل يضعف إيمانها فأخذ يجعلها تفكر فى مصالح أولادهما خشية إحتياجهم وفقرهم . فلما علم زوجها بحرب الشيطان لها عاتبها بمحبة وشفقة ولامها على ضعف إيمانها وشدد عزيمتها قائلاً لها : إن كان الله هو الذى أعطانا كل شىء ومن خيراته لنا نحن نعطى الفقراء والمساكين فأى شىء نخشاه ؟ وإن نحن توقفنا عن فعل الخير الذى عزمنا أن

نعمله غيّر الله حالتنا وربما أعوزنا لذلك يجب أنْ نغيّر هذا الفكر ونقاومه ونستمر على إحساننا وعطايانا لكي لا يعوزنا شيء .

أرجو أن تطيعي أيتها الأخت رجائي ولا تخافي الفقر ولا العوز ألم يقل الرب في المزمور « الرب راعيّ فلا يعوزني شيء » (مز٢٣ : ١) .

يا أختي إن الله فيه الكفاية وثقي في بركة الرب التي تغني ولا يعوزك شيء . إن الله يعول القديسين ولقد عال شعب إسرائيل في البرية أربعين سنة . وكانت فضلات الطعام تزيد على إحتياجاتهم . يا أختي لا تهربي من عمل الخير إسمعي قول الكتاب « ملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه » (مت ١١ : ١٢) .

وما زال يعظها حتى إستعادت محبتها للرحمة والإحسان كما كانت بل زادت نشاطاً وفرحاً وكثرت البركة عندها .

لذلك تضايق الشيطان وساءه عمل ايسيذورس وزوجته لذلك بدأ في محاربتهما بشدة فزرع الحقد والكراهية لبعض رؤساء المدينة ضد ايسيذورس فمضوا إلى نائب المملكة وألقوا وشاية وزوراً له

فأرسل النائب إلى ايسيذورس وصار يحضره كل يوم و يتوعده عساه أن يأخذ منه شيئاً . وظل يضايقه إلى أن ألقى به السجن .

٧ ــ ايسيذورس يوصى زوجته بالاستمرار فى الصدقة

كان ايسيذورس يبعث إلى زوجته وهو فى السجن يعزيها و يعضدها و يوصيها بألا تقطع الرحمة عن المساكين ولا يضعف قلبها ولا تخشى سطوة النائب وقال لها : إنما تستحب الصدقة والرحمة بالأكثر فى وقت الشدة . فداومى أيتها المباركة وأكثرى منها وأحسنى الظن بالله ليكون لنا معيناً على الشيطان عدو الخير الذى يحاربنا .

وكان ايسيذورس يكثر الأبتهال إلى الله تعالى قائلاً .

٨ ــ صلاة ايسيذورس ، وهو فى السجن

«يا سيدى يسوع المسيح أنت أرسلت ملاكك إلى رسولك بطرس فى السجن وفك عنه القيود والسلاسل وأخرجته سالماً . وكما فتحت أبواب السجن له . أرجو أن تدركنى ياربى يسوع المسيح رحمتك ولتلاحظنى عنايتك وتعهدنى بنعمتك ولا تذكر خطاياى السالفة ولا تدع العدو يسر بى ولا تطرحنى فى وقت الشدة بل ليغلب صلاحك كثرة الشر الذى فىّ . واغسلنى كثيراً بقطرات رحمتك لأن عملى قليل وذنوبى كثيرة لأن عمل الانسان باطل إن لم تدركه عنايتك ومؤازرتك كقولك الطاهر «لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) فأسألك أن تمنحنى كل ما يرضيك برحمتك . لك القوة والقدرة . لك ينبغى السجود مع أبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد آمين .

ثم أن النائب أحضر القديس من السجن وهدده وتوعده .

فأجاب القديس: ليس لى شىء أعطية لك وإن كنت تقصد أن تأخذ ما أعطانى الله فهو لتدبير حالى وحال المساكين الذين يقصدون بيتى.

٩ ــ المناقشة بين النائب وايسيذورس

قال له النائب: قيل لى أنك وجدت كنزاً والملوك أحق بذلك. أجاب ايسيذورس: لست أعلم ما تقوله. إنما أعرف أن الله رزقنى الرحمة والأحسان على الفقراء والمساكين واشركهم فى كل ما تحتن الله به علىّ. وإن كان الله قد تصدق علىّ بشىء فإنى وكيل أمين على عطيته لأساعد الفقراء والمحتاجين وأنا أشكره على نعمته وما منحنى أياه.

وقال له أيضاً: ينبغى لك أنت أيضاً أن تسّر وتفرح بهذا وتساعدنى ليكون لك معى نصيب فى الخير من الله.

قال النائب: الرؤساء والعظماء سعوا إلىّ بوشاية ضدك ولا أستطيع لذا أسمع قولك بمفردك دون قولهم.

أجاب ايسيذورس: إن كان كل ما يقال لك صحيحاً فقولهم صحيح.

قال النائب: إنهم خصوم لك باقوالهم.

قال ايسيذورس: إن كانوا خصوماً لى فابداء الحجة والبرهان لا يلزمهم.

قال النائب: قولهم مسموع لأنهم عظماء المدينة وهم يتولون مصالح المملكة وبالرغم من كثرتهم فلم يختلفوا فى قولهم.

قال ايسيذورس: لا أستطيع إقامة الدليل ولكنى أنفى ما قالوه عنى.

قال النائب: إن لهم مكانة عندى لعلو مركزهم وشرف منزلتهم.

قال ايسيذورس: إن كان الأمر كذلك. كيف أستطيع مخاصمتهم. فلا يقدر على ذلك إلا الله علام الغيوب.

قال النائب: كيف تخلص وتبرىء نفسك.

قال ايسيذورس: إنى التجىء إلى الله فهو يخلص كل مظلوم.

قال النائب : وهل تشعر بأنك مظلوم .

قال ايسيذورس : أنت تعلم ذلك وسوف تتأكد أيضاً .

قال النائب : أنا أطيل آناتى عليك وسأعمل على فحص ذلك الأمر واكتشاف الحقيقة . ثم أمر بعودة القديس إلى السجن .

١٠ ـ المناقشة بين النائب والعابد

وكان النائب قد أعتاد أن يجتمع بالعابد سالف الذكر . ولما قابلة النائب عرفه بما وشى به العظماء ضد ايسذورس .

قال العابد : إن شئت أيها النائب إحضر ايسيذورس وأدبه ليكمل قول الله فيه إن الذين يحبون الله يقعون فى البلايا «لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم . لأنه أى مجد هو إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون . بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل من عند الله» (١بط ٢ : ١٩، ٢٠) و يقول الرسول بولس

«مضطهدين لكن غير متروكين مطروحين لكن غير هالكين» (٢كو٤ : ٩) وقول رب المجد «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه» (مت٧ : ١٤) وقال أحد الآباء «كل خير لا يلحقه تعب وتغصب فليس له جزاء صالح»

قال النائب بعد أن سمع من العابد هذا الكلام : ياسيدى أرى أنك تعرف هذا الرجل وجميل أفعاله .

أجاب العابد : نعم وإنى أشكر الله حيث أنك لم تسىء إليه إلا بالسجن . وإن كان الله قصد أن يكمل قديسيه بالتجارب والمحن ولكنه سيطالبك بما أسأت إليه .

فشكر النائب الله وشكر العابد لكونه أعلمه الحقيقة ثم طلب من العابد أن يطلب من أجله الغفران .

قال العابد : أطلب أنت مباشرة المغفرة من الله ويجب أن تمتنع فى المستقبل أن تسىء لأحد دون معرفة الحقيقة والتأكد منها وإن شئت اغتنام الخيرات فهو مستطاع لديك لأنك نائب للملك ولا يقدر أحد أن يمانعك أو يتعرض لك .

فاتعظ النائب من العائد وعاد إلى مكتبه بعد أن طلب منه الدعاء له ولما أستقر فى الحكم أحضر ايسيذورس وطلب منه مسامحته على انفراد وسأله الدعاء له من الله ثم طلب منه أن يجيب طلبه ولا يمتنع عن الحضور إذا أرسل إليه لاستدعائه ثم خشى النائب عاقبة أساءته من الملك. فكتب مذكرة حيثما اتفق وأرسل فاستدعى ايسيذورس ليقف أمام الملك. فلما مثل بين يديه استقبله الملك واحتضنه وقبله وأجلسه إلى جانبه وقال له :ـ

١١ ـ المناقشة بين الملك وايسيذورس

قال الملك : إننى فى شوق لرؤيتك وعظيم هو عملك.

قال ايسيذورس : العمل العظيم نعمله لله فهو يرشدنا دائماً للخير وأنت أيها الملك تساعد على كل خير. إن الملوك الأخيار هم متعهدو الدين ومساعدو المتقين. ولهم من الله أجر عظيم ونصيب جميل وإن كل الناس هم لأنفسهم أما الملوك فهم للناس جميعاً فالخير قائم لهم والنفع عام بهم.

قال الملك : أحقاً لنا كل هذا.

قال ايسيذورس : نعم إذا كانوا على الصورة المرضية . وأمام الله بهذه المزايا . لقد وهب لك الله أن تكون ملكاً وأنت الآن وسيط بينه وبين خليقته في أرضه .

وقد قيل أن ما كان الملك عليه تكون أيضاً الرعية على مثله وإني أرى أنك مادمت متمسكاً بالعدالة ومحباً لفعل الخير والعمل الحسن فالرعية ترتقي وتحسن أمورها بك ويعود عليك نفعها لأن في المماثلة طلباً لزيادة العلم والعمل والله يوفقك دائماً .

قال الملك : لقد أبديت لي نصحاً وأسديت لي معروفاً وعملاً حسناً عند قدومك إليّ وقد شكرت الله على ذلك .

قال ايسيذورس : إنما ينبغي الشكر لله ولمن يقدم النفع لغيره .

قال الملك : تقصد من ..

قال ايسيذورس : هذا الرجل العابد المقيم بالقرب من المدينة التي أنا مقيم بها وبعد أن ذكر ايسيذورس إسم العابد تشوقت نفس الملك لمشاهدته مرة أخرى لذلك أرسل واستدعاه وعند وصوله احتضنه الملك وتبارك منه وأجلسه بجانبه وسأله عن حاله .

١٢ ــ المناقشة بين الملك والعابد

قال العابد: الشكر لله دائماً على السّراء والضراء. وأسأله الصفح عما مضى وإستمد منه العون فى المستقبل.

قال الملك: أما الشكر على ما يسّر فواجب وأما على ما يضّر فغير معقول.

قال العابد: إنما الشكر يجب أن يكون على عاقبة الصبر لا على الضرر لأن الله جعل العقاب على الضرر نفعاً مع حسن النية الصالحة.

قال الملك: إن الكمال فى كل أمر متعذر خصوصاً مع الملوك.

قال العابد: المتعذر غير الممتنع وإذا ارتفع الأمتناع بقى الأمكان فكل ممكن مستطاع لا سيما للمؤمن المحب خصوصاً الملوك. لأن الملك إذا طالب الرعية بالعدل والأنصاف فيما

بينهم وساعدهم على ذلك فالأولى أن يلزم نفسه به لأنه يكون أحق وأوفق والرعية تحتاج إليه.

قال الملك: حسناً قلت إذا كان الملك مشغول بحكم الرعية ومهتم بدفع المصاعب عنها فكيف يتفرغ لعمل ما يكمل به نفسه فى رضا الله.

قال العابد: النظر فى مصالح الرعية وانشغال نفس الملك واستغراق فكرة فيما يعود نفعه ودفع المضار عن الرعية هو رضا الله. وبه تكتمل نفس الملك فى الخير.

قال الملك: ليس ميسوراً فى كل وقت أن ينتهى الإنسان إلى الخير بمفرده لكن بضابط ومرشد ولو كان عالماً به لأن المعرفة بالخير ليس كافياً للإنسان وحده وما كان يتأخر عن عمل الفضيلة إلا النادر من الناس وبغير مرشد لن يستفيد. فاسعفنى أيها العابد وحق مكانتك لدىّ وستكون لى معيناً وباعثاً ومساعداً تعمل الخير على الدوام.

قال العابد: اقامتى عندك أن كان فيه نفع لك فهو ضار بى ولا يفيدنى. أما نفعك أنت فهو أن تعمل بما سمعته منى ولو أقمت عندك لا يفيدك إلا ما عرفتك أياه وفهمتك معناه.

وأستطيع أن أقول لك أن ما ينوب عن اقامتي عندك هو المثابرة على مطالعة الكتب الإلهية والكشف والفحص عن أخبار الملوك الأخيار وحسن سيرتهم واقتفاء أثرهم .

وينبغي مداومة الصلاة لأنها مناجاة لله وهى تنير العقل وتلهم الصواب وتخلص من التجارب وتنجى من المصاعب . ويجب أن تستبين برأى أفاضل مملكتك وعظمائها والإتكال على الله ويتبغى أن تكثر من الصدقة والرحمة على المساكين والفقراء والأرامل والمنقطعين وقد أشار على ذلك دانيال النبى وهو بلتشاصر إلى الملك ليستغفر عن ذنوبه بالصدقات وقال « لذلك أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وأثامك بالرحمة للمساكين لعله يطال اطمئنانك » (دا ٤ : ٢٧) وقال له أيضاً أن يعتمد على مراقبة الله له حيثما توجه ، وينبغى أن يتوشح بحلة الفضائل ويرتدى برداء الحنان والتواضع ليعينه الله فى كل أموره .

قال الملك : ادعُ لىَ الآن .

قال العابد : يعصمك الله من الزلل ويرشدك إلى العلم والعمل ويوفقك فى مراعاة رعيتك .

عند ذلك تبارك الملك منه وأيضاً من ايسيذورس وكتب إلى نائبه كتاباً يوصيه بهما ورعايتهما و يزودهما بكل ما يحتاجان إليه .

ولما مضيا إلى المدينة مضى العابد إلى مغارته وتوجه ايسيذورس إلى زوجته وأولاده وحدثهم بجميل ما فعل الله معه وشكروا الله جميعاً .

أما القوم الذين كانوا قد سعوا بالوشاية ضد ايسيذورس فإنهم نالوا من الملك ونائبه عقابهم وبعد قليل حصل لايسيذورس من قلة الكسب ما أضعف معيشته وكاد المال ينعدم بين يديه وحزنت زوجته أيضاً .

١٣ — ايسيذورس يعظ زوجته بأن تتمسك بالصبر وتحتمل تجربة الفقر

قال ايسيذورس المبارك لزوجته : لا تحزنى ياأختى لقد رأينا عناية الله مرات كثيرة ولم يهملنا لحظة . فهو يريد الآن امتحان

فكرنا . هل نتوقف أم نستمر فى عمل البر والمعروف والرحمة بالمساكين. كما أن الشيطان يحاربنا و يوعز إلينا أن نوفر لأولادنا ولأنفسنا ما يعيننا عند الكبر بشيء ينفعنا و ينقص اهتمامنا بالفقراء والمساكين. ولكن لم تستطع زوجته أن ترد على ذلك.

قال لها : لست أرى من الواجب أيتها المرأة أن يستعين الأنسان على التجارب إلا بفعل الخير و يدفع ضعف الايمان الذى يقصده الشيطان إلا بمداومة الصلاة والصبر. ثم أقول لك من أين لنا أن نعرف أن الأولاد يعيشون حتى يصبحوا فى احتياج وهل كل من ادخر لأولاده يكون من نصيبهم ؟

اسمعى قول داود النبى «الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبوا الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز٣٤ : ١٠).

وما زال يعظها و يطلب من الله أن يثبت إيمانها حتى رجعت عن ثورتها ورجعت إلى حالتها العادية وظل ايسيذورس يكثر الصلاة والطلبة إلى الله كى لا يجعل العدو يفتخر عليهما لضعف إيمان زوجته.

وكان يصلي إلى الله قائلاً : «ياسيدى يسوع المسيح قو إيمان امرأتى فهى معينة لى ولا تدع الشكوك تفت فى عضدنا بقوتك الإلهية فمنك نستمد كل معونة وأنت مصدر كل خير. لك يارب ينبغى كل كرامة. ومجد مع أبيك الصالح وروحك القدوس من الآن وإلى الأبد آمين» وقام ايسيذورس وأخذ زوجته ومضيا إلى العابد.

١٤ ــ ايسيذورس يشرح للعابد ضعف إيمان زوجته والعابد يعظها

وشرح له صورة الحالة التى وصلا إليها وأوقفه على حرب الشيطان لزوجته بالفكر الردىء وضعف الإيمان والإهتمام بالأولاد ومحنة الحاجة وغير ذلك.

قال لها العابد: إعلمى أن المرأة فى العهد الأول قد خلقت لمعونة الرجل فينبغى أن تكونى معينة له لا لأضعاف إيمانه.

ومتى خرجتِ عن مساعدتة فقد تعديت أمر الخالق تعالى ولعلك

تريدين أن تشبهى حواء وتوقعى بعلك فى المعصية وتحولية عن الحق إلى الفساد وسوء الظن بالله. وقد كان الأولى بك إذا لم تكونى مساعدة له كعادتة فلا تكونى معوقة. وقد أخترت لنفسك طريقاً مضعفاً ومعوجاً إذ لا تعملين خيراً ولا تمتنعين عن الخطأ: هل تريدين أن تكونى كأمرأة أيوب التى لم ترد أن تكون مشاركة لبعلها فى آلامه بل قصدت أن تجذبه إلى المعصية بما أشارت به عليه أن يبارك الله ويموت (أى ٢ : ٩).

قالت المرأة: يا سيدى لم أمنعه من فعل الخير بل خشيت الفقر لأجل الأولاد.

قال العابد: وأى ضرر أعظم من سوء الظن بالله تعالى. وأى فقر لا يحصل مع قساوة القلب. ألا تعلمين أن الأغنياء بالله لا يعوزهم شىء و يقول داود النبى «الرب راعٍ فلا يعوزنى شىء» (مز٢٣ : ١) وقال أيضاً «كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز٣٧ : ٢٥).

فإن كنتِ بدأتِ جيداً فلا تجعلى النهاية رديئة والأشياء كلها بتمامها وغايتها فاسدة. أما سمعت مثل الكرم من قول ربنا وكيف أعطى كل الأجرة لأصحاب الساعة الحادية عشرة

كالأولين مشيراً بذلك أن لا يجازى الإنسان إلا على نهاية عمله. وهل تضيعين جميع ما قدمتين ليذهب باطلاً فى هذه الساعة الحادية عشرة الأخيرة التى أغتنمها الكاملون وتكمل بها العاجزون.

وإذا كان الذين يحبون العطاء لأجل المديح من الناس فقط ولا يهتمون بأجرهم عند الله ألا يكثرون من العطاء خشية إبطال مديحهم من الناس لذلك يجب أن يعمل الناس الخير رغبة فى رضا الله ويجب أن ينتظر الإنسان حسن المجازاة من الله آجلاً بعد القيامة وعاجلاً فى هذه الدنيا بتوقعه البلايا والمصائب كما حدث لكما فى هذا الزمان لما سعى بكم الرؤساء بالوشاية وكيف أحسن الله إليكما وخلصكما وقربكما من الملك وأحبكما وأبعد أعداءكما وخزاهم الله. كقول الكتاب «سخط وغضب شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر.... ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح....» (رو٢: ٩، ١٠) ويقول الله أيضاً على لسان داود النبى «لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد» (مز٥٥: ٢٢).

وقد علمت أيضاً منذ وقت قريب تحريض العدو لكما بالامتناع عن فعل الخير إلا أنكما قاومتما أفكاره وثابرتما فعضدكما الرب وبارك لكما وهذه هى أيضاً حكمته وعدالته. ومكافأة الله بدلاً من الآلام والأحزان فيكون فى النهاية بعد الخروج من هذه الدنيا بالملكوت والخيرات والحياة الأبدية الدائمة.

فانهضى لله وتقوى بنشاط وفرح واستمرى على جميل عاداتك وابعدى عنك سوء الظن. وأود أن تقاومى حب نفسك وغالبى ضعف الطبيعة وأبعدى عن فكرك طول العمر وطول الزمان بالإستعداد لحضور الأجل ألم يقل الكتاب «لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى إبن الإنسان» (مت: ٢٤: ٤٤) فكيف نستطيع أن نعرف الغيب. ولو كان قصر العمر فى هذه الدنيا بسبب عدم المال لما مات الغنى ولا عاش الفقير. وإن الله يدعو الناس للشفقة على المساكين ولولا رحمتكما بهم ما كان خلصكما من يد نائب الملك وكانت أموالكما نفذت عن آخرها فلا تهتمى بالمال وإن نفذ فى طاعة الله ورضاه فهو أفضل من أى شىء آخر.

قالت المرأة: قد إقتنعت بكلامك إنما أرجو أن تعرفني كيف أستطيع أن أتغلب على الفكر الرديء الذى يعاودنى.

قال العابد: جرت العادة أن فاعل الخير تارة يحارب من ضعف الطبيعة وتارة من عدو الخير وتارة من القوم الأشرار والحاسدين.

قالت المرأة: زدنى إرشاداً لانتفع من الوعظ.

قال العابد: هذا يعنى أنك لم تكونى واعية بكل ذهنك إلى حديثى فكل ما ذكرته كان فيه الكفاية. فقد كنت حاضرة بجسدك غائبة بوعيك مستمعة فى الظاهر غير منصتة فى الباطن فمثلك مثل الذى يسمع كلمة الله وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر و ينسى الكلمة فى الحال.

قالت المرأة: هل يوجد علاج يشفى من هذا المرض؟

قال العابد: نعم وهو عناية الله العامة والخاصة فمن يتصور النعيم و يتذكره كل ساعة ويخشى الدينونة والحساب وألم العقاب و يثابر على هذا الفهم و يذكر بأن الراحة والنعيم والأمن والطمأنينة أبدية لا نهاية لها وكذلك العذاب أبدى لا

نهاية له حينئذ يطرد الفكر الردىء ويطلب عناية الله أن تحفظه وتلاحظه.

قالت المرأة: هذه المعدات كثيرة فأرجو أن تعرفنى أهمها وأقربها وأنفعها لى.

قال: قد قلت لك وأقول أيضاً لا ينفعك سوى ترك سوء الظن وضعف الإيمان ويجب أن تتذكرى الموت وإقترابه وزوال هذه الدنيا كالظل الزائل وكحلم النائم.

قالت المرأة: قد أشعرنى كلامك أن خيط حياتى قد بدأ ينقطع وأن رباطى سينحل قريباً. قد أغنتنى الأشارة عن التصريح. لذلك أرجو الآن أن تؤازرنى بالدعاء وأن تتوافر همتى للإستعداد والإنطلاق إلى الله فساعدنى ياأبى بصلواتك للخروج من هذا العالم. وزودنى بدعائك فيما بعد لأحصل على الراحة والقبول من الله وليكافئك الله عنى كى يردنى أنا الخاطئة ويحيى نفسى من الموت.

قال العابد: فليكمل الله عملك ويحسن آخرتك ويستجيب لطلبك. ويجعلنى وإياك نستيقظ ونستعد للموت بحفظ الوصايا

ومقابلة الديان ونحن حاملون ثمرات الايمان وهى الأعمال الصالحة.

فلما إنتهى العابد من كلامه مع المرأة تقدم إليه ايسيذورس وقبّله وقال: حقاً يا سيدى لقد أنرت لنا الطريق وغيرت سلوكنا وطهرت نفوسنا وشفيت أمراضها فلك من الله أضعاف تعبك معنا وتبارك الأثنان منه وعادا إلى منزلهما ورجعا إلى عملهما. وبعد زمن آخر بدأ مالهما ينقص ولم يعد الزاد يكفى مطالب الحياة لأن الله أراد أن يجرب زوجته مثل أيوب. ومازال عطاؤهما ينقص حتى لم يبق لهما ما يتصدقان به على المساكين. فتألمت المرأة وأغتمت ليس من أجل أولادهما فحسب كما كانت تشعر أولاً ولا خشية الفقر ولكن توجعاً على المساكين وقد عاودها ضعف الايمان وبقيا فى حالة العدم يعجزان عن أن يحسنا إلى المساكين ولم يتناولا من القوت غير الخبز فقط وكذلك أولادهما الذين كانوا يتألمون لإقتصار طعامهم على الخبز فقط وتجلدوا بالصبر قائلين: الله الذى يعول فراخ الغربان لن ينسانا ولن ينسى المساكين الذين كنا نعطف عليهم.

أما ايسيذورس وزوجته فكانا يكثران من الطلبة والصلاة أن يمنحهما الله الشكر والصبر.

وقالت المرأة لبعلها : لما كان لنا المال كنا ملتصقين بالله وقد ذهب عنا المال.

١٥ــ ايسيذورس يكرر عظاته لزوجته

قال ايسيذورس : ألا تسمعين قول داود النبى يقول «القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين» (مز٣٧ : ١٦) ونحن وإن لم نكن قديسين فإننا فى بركة الصديقين نعيش ونواسى أخوة السيد المسيح الذى دعاهم إخوته الأصاغر.

قالت المرأة : قد ذهب مالنا ونقص عملنا وقل أجرنا وذهب عنا الكمال الذى كنا نتوقعه ونرجوه من الله.

قال ايسيذورس : لم ينقص شىء وربما يتيسر لنا الكمال ونحن نجهله فكلما تصورنا أننا نعمل إتضعنا وتمسكنا أكثر بمعونة الله لنا وكنا عند ذواتنا بمنزلة العابد المقصر فكلما نقصت المادة

عندنا ونقص عطاؤنا من الصدقة زادنا الله من الفضيلة والمسكنة بالروح وهى أعظم الأعمال. وكلما تألمنا من أجل عوز المساكين زادنا الله براً وأجراً. ففضيلة الصبر والشكر أعظم من فضيلة الصدقة فإن أيوب نال بصبره وشكره لله عند ضيقتة وفقره أكثر مما كان عليه عند ثروتة وغناه. وعلى كل حال فنحن خليقته والله هو المدبر وفى وسعه أن يوجهنا حسب إرادته ويختار بنا ما يريده وما علينا إلا القبول والرضى بما يرضى به وهذه هى سجية أيوب لأنه تحقق أن المال هو لله وأن مركزه على سبيل الوكالة. فإذا ذهب عنه لا يندم عليه ولا يتذمر ويجب أن يكون قوى الإيمان وصادق العزيمة.

قالت المرأة: ألم يتضايق أيوب و يتألم.

قال: نعم.

قالت: فأى فضيلة بقيت له.

قال: لا يعمل الفضيلة من يتألم و يتضايق مع الصبر والشكر أما من يتألم فيثبت و يتضايق فيفرح و يفتقر فيشكر فهو الذى تحسب له فضيلة.

قالت المرأة: إن كان أيوب قد قال أن الله هو الذى وهب له المال والأولاد وكان هو بمثابة الوكيل فإذا إسترد الله ما أعطى فليكن إسمه مباركاً.

قال: تعقلى جيداً ولكن إسمعى الجواب عنه إن الإنسان له نفسان أحداهما عاقلة قابلة الخير والأخرى شهوانية حيوانية منعكفة على شهوات الدنيا ولذتها. فصح إعتقاد أيوب فى الأولى أن الله أعطى وهو الذى أخذ من تلقاء النفس العاقلة أما من قبل النفس الحيوانية الشهوانية فهى التى تألمت لفقد الأولاد وضاقت لعدم الألفة والتعود أما النفس العاقلة فاظهرت ما يليق بها من الصبر الجميل والشكر الجزيل وحسن اليقين وصحة الإعتقاد. وبالحق فإن فضيلة أيوب تفوق كل الفضائل وذلك لأنه حين قال أن الله هو الذى أعطى وهو الذى أخذ لم يقل وسيعطى أيضاً. ففى صبره وشكره إنما هو يتوقع إسترجاع ما أخذ منه.

قالت المرأة: أفما كان أيوب يعتقد أن الله قادر أن يعوضه.

قال: نعم إلا أنه لم يفكر فى ذلك لأنه لا يعلم ضمير

الرب . ولو علم الغاية ما كان يتألم وإنما ابتلاه الله ليظهر أنه صديق بار فيستسلم الناس لمشيئة الرب و يقتنفون أثر أيوب و يتمثلون به و يقتادون بقدوته الحسنة .

قالت المرأة : كيق يثبت بر أيوب فى الحالتين كليهما فقد تضايق فى نفسه حتى لعن .

قال : إنما لعن يوم ولادته وليس عليه لوم فى هذا . إنما فعل هذا حينما شك فيه أصحابه وجدفوا على الله بسبب حيرته فى أموره فلعن يوم ولادته . وكثير من الأولياء فعلوا ذلك لأجل شدة الزمان وصعوبة أحواله وتغيير عوائده وأحكام الله التى لا تدرك .

قالت المرأة : هل كان أيوب متحققاً أن الله سيعوضه أضعاف ما فقد له ؟ ألم يكن له رجاء فى الآخرة وقد صبر وشكر ولم يدع ألم الفقر والعدم والوجع يملك وأصبح لزاماً علينا نحن أن نتمثل ونقتدى به إذ لنا رجاء فى الآخره الصالحة .

١٦ ـ نفاذ جميع الثروة وموت الأولاد مع تمسكهما بالرحمة على المساكين

وإنهما نهضا لوقتهما وتمسكا بالرحمة والعطف على المساكين مما بقى لهما ولم يلتفتا إلى مستقبل أولادهما.

فنفذ الذهب وخلصت الفضة وباعا الثياب والأثاث ومشتملات البيت ولحق أولادهما المرض فماتوا فأزداد غمهما أكثر من فقد المال.

قال الزوج: كنا نرجو أن يعيش الأولاد ونموت نحن وقد إنعكس الظن وخاب الأمل وذهبوا وبقينا نحن ومن أين لنا أن نعلم أن يطول بقاؤنا. فاطرحى الآن أمر الأولاد وقد إنتقلوا وقد صنع الله معنا جميلاً وقطع علاقتنا فى هذه الدنيا وسهل علينا الطريق للوصول إليه. وقد كنا نود بقاء المال لأجل الأولاد. وأعلمى لو كان الله قد أخذنا قبل الأولاد لاحببنا البقاء معهم

ولكن الآن نرغب فى الخروج من الدنيا والأنتقال إلى السماء فأشكر لله على هذه النعمة العظيمة التى لا نستحقها ولو كان المال قد فقد منا قبل الأولاد لأصبحنا نتألم من أجلهم. والآن أرجو أن نتعزى ونتقوى.

قالت المرأة: هل تطلب منى ألا أحزن البتة.

قال: لا إنما أطلب ألا يتملكك الحزن و يعوقك على فضيلة الصبر والشكر وهما لنا الآن أليق بنا وأوفق إذ لم يبق لنا تعلقات تشغلنا أو تلهينا أو تزيد إهتمامنا. و يكفى أن الدنيا سميت دار الحزن والشقاء ودار الفناء والمفارقة. أما الدار الآخرة فهى دار البقاء والدوام والرحة والنعيم غير الزائلة. والواجب على العاقل الآن إختيار الأنفع والأفضل ولم يبق علينا الآن إلا العمل بما يقربنا إلى الله ويحسن قبولنا فهذا هو الأهم بالحقيقة.

١٧ ـ ايسيذورس وزوجته يوزعان ما بقى لهما من ثروة بعد فقد أولادهما

ولما استمر ايسيذورس يعظ زوجته المباركة تعزت وشكرت الله وقالت: ليكن إسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد.

وبعد أن واريا أولادهما التراب عادا إلى منزلهما ووزعا جميع ما تبقى لهما وفرقاه على الفقراء والمساكين وطلبا منهم الدعاء لهما. وصارا بعد ذلك فى غاية الفقر والمسكنة. وقد انصرف الفقراء والغرباء والمساكين وهم يدعون لهما. أما القديس ايسيذورس وزوجته فأصبحا فى عداد الفقراء والمساكين. ولقد عكف عظماء المدينة وأغنياؤها على زيادة عمل الخير. وكانوا يقدمون للقديس وزوجته بعض الحسنات والمساعدة إلا أنه بالرغم من حالة الفقر التى وصلا إليها كانا يستقطعان مما يأخذان من الأغنياء ويدفعانه إلى الفقراء والمساكين لئلا تنقطع عاداتهما الحسنة.

أما ايسيذورس فظل يعظ زوجته لئلا تصغر نفسها أو تتبرم. وكان يعزيها ويعظها بقوله: إعلمي أن حالنا فى هذا اليوم أحسن مما كنا فيه أولاً عند الله بالحقيقة.

قالت المرأة: فتناولنا نحن الصدقة من عظماء المدينة دون غيرنا من هؤلاء المساكين هل يستحق الشكر؟

قال: نعم أضعافه لأن هؤلاء ربما ألفوا الأستجداء. أما نحن فنشكر الله الذى أهلنا لنقبل تلك الحسنات ليزداد مقدموها فى الفضيلة ونسأله تعالى أن يعيننا على ذلك إلى الكمال وإلى الإنقضاء لنفوز برحمتة وغفران خطايانا. وقد حفظ الله علينا العمل الأول وهو مساعدة المساكين وسبب هذا جميعه الثقة فى الله وحسن الطوية مع الفقراء والمساكين.

ويجب أن نشكر الله على السراء والضراء ونستمد العون منه الذى منحنا نعمة العطاء وأصبحنا نقبل ما يتعطف به علينا الأغنياء. والمتصدق عند الله أفضل من المتصدق عليه لاسيما إذا كان شاكراً فرحاً غير متبرم وخصوصاً إذا كان ذو مال وسعة فى حالته الأولى مثلنا نحن اللذين لم نكونا محتاجين ونعطى الفقراء

صدقتنا صرنا نحن اليوم نتناول من الغير الصدقة وهذا فيه ألم نفسى . فإذا صبرت عليه غير متبرمة تضاعفت لك الحسنات واستحققت من الله أعظم البركات .

وكان الطوباوى ايسيذورس إذا فرغ من وعظ زوجته يصلى و يبتهل إلى الله بتضرع ودموع قائلاً :ــ

١٨ ــ صلاة ايسذورس ليداوم على الشكر فى حالة فقره وقبول مساعدة الغير له

« يا الله أنت المتحنن والعطوف الرحيم محب البشر فكما منحتنا أولاً أن نعطى المساكين بفرح وسرور امنحنا الآن أيضاً أن نتناول الصدقة بفرح وسرور وليكن تذللنا بين يديك وآلامنا وإنكسارنا كقربان المساء لأن كل خير هو منك و يليق بك تكملته لنا ودوامة علينا فنحن نقر بضعفنا فأيدنا بمعونتك كقولك لأن بدونك لا نستطيع أن ننال شيئاً لأن لك القدرة والعظمة إلى الأ بد آمين » .

١٩ ـ حسد الشيطان لهما
ومنع الأغنياء من مساعدتهما

فلما داوما على هذا الحال حسدهما الشيطان وطرح فى قلوب بعض الناس البغض والكراهية. وحثهم أن يقسوا عظماء المدينة وأغنياءها الذين يعطفون عليهما و يرفهون عنهما و يعملون على برهما واعطائهما لعلمهم بما كانا عليه أولاً من سعة الرزق أن يكفوا الآن عن مساعدتهما لأنهما أغنياء وهما يتظاهران بالفقر والمسكنة كى يسترا حالهما خوفاً من السلطان. وترتب على حسد الشيطان لهما وبثه البغضاء فى قلوب الأغنياء أن توقفوا عن مساعدتهما حتى ذوى القلوب الرحيمة الذين كانوا يساعدونهما فتناقصت مؤونة غذائها. حتى صارا يبيتا من غير قوت فى بعض الأوقات فزاد ألمهما وكثرت أحزانهما وكادت صحتهما تتدهور وخصوصاً إمرأته. ونهض البار ايسيذورس وتوجه صوب ذلك العابد وقص عليه ذلك.

٢٠ ـ مناقشة بين العابد وايسيذورس

قال العابد: اسعدتنى بهذا الخبر.

قال: كيف يا أبى.

قال العابد: هذا الذى تشتكيان منه هو غاية الخير والكمال من عملكما جميعاً وما بعد الكمال ونضج الثمرة إلا القطف.

قال: كلانا يا أبى.

قال: لا بل هى تتقدم فانهض وعز زوجتك وعرفها رضى الله عنها وإذا واريتها التراب عد إلى هنا واعلمك ما تقوم به من عمل.

قال: كيف يكون عملى مع هذا المقيم على ضررنا.

قال: اصبر عليه واحتمل وادع له وصل له وإذا أمكنك فاشكره ووجهه واغتنم مساعدته لك على الكمال فكل وقت

افعل هذا القصد التام وأياك والضجر والهرب أيضاً لئلا تفقد الكنز الذى تعبت من أجله حتى وصلت إليه فيختفى عنك ولا تستطيع أن تجده .

قال ايسيذورس : أظن أنه ما صادف أحد من الناس ما صادفنى من البلايا .

قال : مازال الإنسان يقول هكذ أن الذى اصابه لم يصب غيره . حقاً أقول لك أن الذى ألمّ بى من الآلام فى هذه المدينة أضعاف ما أصابك .

قال : إذا أبقيت على قيد الحياة عرفتك والآن أسرع إلى المضى إلى زوجتك لتواريها التراب وتتزود بدعائها . فعاد إلى زوجته فلما رأته نهضت إليه وسلمت عليه وقبلت يديه ونظرته كئيباً . فقالت : ما بالك هكذا . لعلك لم تقابل العابد فحزنت بسبب ذلك .

قال : قابلته .

قالت : فما شأنك .

قال : خير .

قالت: إن مظاهر وجهك لا تدل على الخير.

قال: من الخير ما يفرح الإنسان ومنه ما نحزنه.

قالت: ألعل هذا الخير مشترك لنا.

قال: لا. لو كان هذا ما كان قلبى يمتلىء بالحزن.

قالت: أما يمكنك أن تكشف لى هذا الأمر.

قال: لا لأن إفشاءه يزيد حزنى وسماعه مؤلم ولكن عدم التصريح به أليق وأحسن.

وأقسمت عليه فلما ابتدأ يقول لها إمتلأت عيناه بالدموع فسكت قليلاً وقال: إن العابد قد ذكر لى إنك تفارقين الحياة قريباً وتصلين إلى الراحة وهو يهنئك وإنما يشفق عليّ ذلك لعدم مشاهدتك ومؤانستك لى. لكنى اخضع لقبول إرادة الله ومشيئتة.

فلما انتهى كلامه داخلها للحال الخوف والرهبة وجرت دموعها وقالت: يا أخى هل أعلمك إنى أجد راحة عند الله.

قال: نعم أما قلت لك إن العابد يهنئك و يبشرك بما حصلت عليه من الخير.

قالت : ليدركنا الخير سوياً وأنت يجب أن تكثر من عمل الخير وتستعد أكثر منى .

قال : إن الله يعلم عنا أكثر مما نعلمه عن أنفسنا ولا يستطيع أحد من البشر أن يعرف ما يفيده أكثر سوى الله ويجب علينا الطاعة والخضوع .

أما هى فلما سمعت هذا ارتفعت درجة حرارتها ثم غابت عن وعيها قليلاً وبعد أن إستفاقت نهضت تصلى وتطلب من الله بحرارة قلب وتوجع وخوار شديد وجريان دموع قائلة :ـ

٢١ ـ صلاة زوجة ايسيذورس قبل انتقالها

« يارب أنت الذى يأتى إليك الكل لأن أرواحهم بيديك ورحمتك تشمل الجميع وجودك يعم الخاطىء . اغفر لى ذنوبى واصفح عن زلاتى واستر نقصى وعيوبى واغسلنى برحمتك فابيض مثل الثلج واسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى . اللهم هذه هى الساعة الحادية عشرة . فلا تهملنى من نعمتك ولا تغفل

عني رحمتك. فعن قليل أذهب ولا أعود أرجع فليس لى بقية فاحسن حضورى لديك وقدومى أمامك. واجعل دموعى الآن كدموع تلك المرأة التى غسلت قدميك بدموعها. اللهم أشرق وجهك علىّ واضىء لى نورك الأبدى وأزرنى بملائكتك العلوية ليدخلونى إلى منازلك النورانية واسمعنى صوتك الفرح ادخلى إلى فرح سيدك. لأن لك القوة والعظمة والقدرة والسلطان إلى دهر الدهور آمين». فلما فرغت من صلاتها جلست وأسندت رأسها إلى الحائط وقالت لزوجها أطلب من أجلى وصل عنى ولا تقطع ذكرى وتذكارى.

قال: أنا المحتاج أن تذكرينى فإنك ماضية حيث الراحة أما أنا فمقيم فى دار التعب.

٢٢ ــ كلمات وداعية بين ايسيذورس وزوجتة

قالت: أنت مقيم وأنا مسافرة والمسافر أكثر احتياجاً إلى الدعاء له ولكن يجب على كل منا أن يدعو للآخر.

قال: يجب عليّ هذا دون سؤال فاذكريني أنت أيضاً لألحق بك عاجلاً.

قالت: الله يتولاك ولا يعوزك شيئاً مما تجد به القبول والراحة من الله ونرجوه أن يجمعنا قريباً فى منازله السمائية بطلبات الذين أرضوا الرب باعمالهم الصالحة آمين.

ونهضت قائمة ثم سجدت قائلة: أسألك يا أب الأرواح. اقبل روحى إليك واحسن قدومى أمامك.

٢٣ ـــ نياح زوجة ايسيذورس

واسلمت للوقت روحها الطاهرة وهى ساجدة. فقام ايسيذورس باجتهاد ومددها على الأرض جيداً وقبل يديها وتبارك منها وتوجع لفراقها وآلمه وحشتها ثم جهزها وسار بها إلى البيعة وسمع الناس خبر انتقالها فحضر الأغنياء والفقراء يقصدون أن يتباركوا وقبلوا التابوت ولما أتموا شعائر الصلاة حملت ودفنت.

ثم عاد ايسيذورس وهو فاقد وعيه وقد أزرف عليها دموعاً

سخينة ثم مضى نحو العابد حسب وصيته وعرفّه بوفاتها فعزاه وقواه ونصحه بعدم البكاء لأنها دخلت إلى مساكن الراحة والنعيم .

قال ايسيذورس : قد نفذ الأمر وأنتهى كل شيء وماذا يكون تدبيرى من الآن ؟

قال العابد : ينبغى أن تقيم عندى ههنا وتلزم نفسك بما يجب عليك لأنك ستسافر عن قريب والطريق صعب فتزود واستعد .

قال : أرجو أن تصلى عنى وإنى أسألك أن توفى لى بوعدك وتخبرنى بما حدث لك .

٢٤ ــ العابد يذكر معاملة أحد أصدقائه له

قال : نعم ولكن الوقت قصير وما حدث كثير .

قال ايسيذورس : أرجو أن تخبرنى بما تيسر منه ليكون عزاء لى .

قال العابد: كان إنسان عابد يحبنى و يساعدنى و يزورنى فى كل وقت وكنت أعظه وأعزيه وأستحسن فى وقت ما أن يجتمع بالعالم و يقترب إلى الناس بدلاً من الوحدة والانفراد والانقطاع. ولما فعل ذلك تبدل حاله ووجد كثيراً من الناس يقبلون إلىّ و يتقربون منى فداخله الحسد وتملكته الغيرة حتى أنه غيّر محبته لى وغيرّة الحسد وتملكه واستماله إلى البغض والنميمة فاصبح لا همّ له إلا الوشاية الذميمة. وتزايد به الحال وظهر ذلك فى تصرفاته فأكثر من السب والأزدراء والتحذير منى والبعد عنى فتبعه كثير من الناس ولم يقنعه ذلك فصاحب من كانوا يعطفون علىّ و يقدمون لى بعض احتياجاتى. فاستطاع أن يغيّر حسن ظنهم بى إلى سوء الظن وقطع اهتمامهم بى واحتياج ضرورتى إليهم. وظل مترقباً من عساه يحضر إلىّ ليقدم لى إحساناً فيغيّر محبته لى إلى بغضة ومكثت معه سنتين على هذه الحالة ارشده وأحسن إليه ولكنه لم يستيقظ ضميره و يرجع إلى صوابه ومحبته الأولى أما أنا فنظراً إلى طول صداقتنا سامحت أفعاله وأمسكت عن عتابه ولومه بل أحسنت إليه وشكرته ومدحته لكل من كان يعرفه أو يذكر إسمه أمامى فكنت أقرر وأقول

حقاً أنه أخير منى بل لقد صليت من أجله ودعوت له لأن ينقذه الله لخلاص نفسه ولا يؤاخذه من أجلى.

٢٥ ـــ العابد يذكر معاملة صديقين آخرين له

وبعد زمان تاب عن هذا ورجع عما كان قد فعله وقام آخر وشابهه فى بغضه لى وأكثر منه لأن كان يجاهر بصورة أكبر ويعجبه عمله ويسر به ويثور علىّ ويتوعدنى بأكثر ما تصل إليه قدرته علىّ ثم نهض آخر أشد من الأثنين السابقين ووثب علىّ كالأسد وبعد قليل تركنى ووكل بى غيره أشد منه.

ثم كان لى صديق يبادلنى المحبة فانضم إلى أحد هؤلاء وأساء إلىّ وأبدى بغضه علىّ مع أولئك.

٢٦ ــ العابد يشكو بمرارة وحزن ضيقات الناس

فضاقت بى الأحوال فالقيت همومى على الله العالم بالأسرار ومع هذا مكثت ثلاثين سنة أكابد ما يأتى علىّ منهم ولا أعتقد أن الزمان صفا لى فلم يخلُ ممن يضايقنى.

وإنى إلى الآن أشكو من هذه التجارب ولكثرة تكرارها وطول مدتها الفت هذه الآلام وأصبحت غير مكترث بها وقد أنتهى العمر علىّ بمثل هذه التجارت وصرت كلاشىء كأننى خلقت لإضطهاد الغرباء والبعيدين.

قال ايسيذورس: حقاً لقد فُقت على الناس جميعاً فى الصبر وطول الأناة وتزينت بكل الفضائل ولقد تعزيت أنا منك كثيراً وصارت أوجاعى وأحزانى عندى كلا شىء. هذا بالإضافة إلى اخلاصك وارشادك لى.

وإن العابد استبقى ايسيذورس وأعطاه وصايا وقوانين.

٢٧ ــ العابد يمرض وينتقل
وايسيذورس قائم على خدمته

وبعد قليل مرض العابد ولازم ايسيذورس خدمته بنشاط وعدم تذمر وكان يخدمه خير خدمة بكل القلب والضمير راجياً من الله حسن الثواب عند الممات فلما لمح منه قرب الوفاة تقدم إليه وقال: ياأبى وسيدى ومعلمى أنت تمضى الآن وتتركنى وحيداً فكيف وأنت القوى والطيب تستحسن أن تترك الضعيف وتذهب .

قال: إن الذى وعد تلاميذه أن يكون معهم إلى الأنقضاء يكون معك حتى النهاية ويكمل سعيك وجهادك بالسلامة . ومع هذا إعلم أننى لست أفتر الطلبة من الله لأجلك حتى تقّر عيناى بك والآن فقد دعانى واستبقاك أنت قليلاً لمصلحة يعلمها هو دوننا ثم أنه أرتفعت حرارته مدة واستفاق قليلاً ولم يقدر أن

ينهض بل جلس وصلى طالباً من الله بتضرع وخشوع وجريان دموع قائلاً :

« أشكرك يا الله لأنك لم تسر بى أعدائى وأهلتنى وأهديتنى بسبل الحياة وحفظتنى إلى التمام من طرق الضلال والآثام ولم تسلمنى يوماً لأعدائى هؤلاء الذين كان قصدهم يقبضوننى بشباك حيلتهم ولم تخرجنى عن صبرى .

لقد حصنتنى عندك على الدوام بما وهبتنى أياه من لذة الصبر الذى هو مرّ المذاق . أريتنى جميل المجازاة التى تكون للصابرين اللهم ، كمل عملى واحفظه علىّ وارسل لى عوناً من على سمائك ليدفع عنى سلطان العدو واجعلهم يولون خائبين . وارسل ملاك السلامة وجميع القديسين وتسلم نفسى بيدك لتصل إلى مكانك المقدس وتحظى بالرضا والقبول والخلود فى الراحة الأبدية واحفظ اللهم هذا الإنسان من الشرير هذا لذى استدعته خيرية صلاحك إلى السيرة الفاضلة وصار له من جهتك جميل النية وحسن الطوية ، فامنحه يارب ما يؤهله و يرجوه من كرمك وهب له من عنايتك بقدر ما يليق لك ليصل إلى الغاية برضاك وتوصله إلى ملكوتك والحياة الأبدية التى وعدت بها محبيك .

اغفر يارب لكل من أساء إلىّ وسبب لى حزناً ولتسعنى وأياهم جميعاً من رحمتك التى تسع كل شيء. فإن اساءتهم لى قد صارت إحساناً لكرمك وجودك وصارت لى باباً للحياة الدائمة» .

ولم يزل يطلب و يتضرع حتى أسلم روحه المقدسة وأضاء وجهه بالنور حتى إنني ايسيذورس لم استطع النظر إليه. ثم مددته واصلحت شأنه وقبلت رأسه وكل جسده حتى قدميه ودموعى تنهمر من عينى حزناً على حرمانى منه.

وحضر الكهنة والشعب والعظماء وجنزوه كما يليق بقداسته وتبارك منه الجميع ودفنوه فى مغارته مكان تعبده لله حتى يوم نياحته وسدّوا بابها عليه ومضى كل واحد منهم إلى حال سبيله بركة صلواته وطباته المستجابة تكون معنا آمين.

٢٨ ـ أهل المدينة يقصدون مغارته لحل ضيقاتهم

ومن بعد هذا كان أهل المدينة كل من أصابه ضرراً وله ضيقة خاصة يجيء إلى المغارة ليتبارك منها و يطلب إلى القديس بخلاصه مما ألمّ به وكان كل واحد ينال ما يطلبه حسب إيمانه .

وأنا الحقير ايسيذورس لبثت باكياً وحيداً وألزمت نفسى بالصلاة وما أعاننى الرب من خدمة لهذا الأب وقلت :ـــ

« يا ربى أنت الذى أرشدتنى إلى هذا القديس وقد انتفعت بارشاداته وقد أخذته الآن إليك وتركتنى يتيماً منه . فأسألك يا إلهى أن تقرب لى البعيد وتيسر لىّ العسير قبل أن يستحكم علىّ صغر النفس وقد لجأت إليك ولم يبق لى مرشد سواك وأنت مولاى وكل إنسان مرجعه إليك » .

وبينما هو يترنم بهذه الكلمات كمعلمه العابد المتقدم ذكره وقع على الأرض وأصابه حمى شديدة.

فلما استفاق منها وكأنه شعر بقبول الله له فتح فاه وقال :ـــ

٢٩ ـــ صلاة ايسيذورس الأخيرة ونياحته

« اللهم إنى أشكرك لأنك عظمت صنيعك معى وجدت علىّ أكثر مما كنت أستحق لكن هذه سجيتك المألوفة وسمتك المعروفة منذ الأبتداء وإلى الأنتهاء.

أسألك اللهم أن تغفر لكل من أساء إلىّ ولتشملنى وأياهم رحمتك آمين ».

ثم أن الرجل المختار البار أنبا ايسيذورس أسلم روحه الطاهرة بيد الرب الذى جاهد على إسمه ونال إكليل الحياة.

وإن إنساناً كان يجىء إليه بالقوت فلما حضر إليه كعادته وجده قد تنيح فتألم ومضى نحو المدينة مسرعاً وأعلم القسوس والشعب فخرجوا فى الحال ومضوا إلى مغارته فجهزوه وجنزوه كما

يليق به وكما عملوا مع معلمه العابد وواروه التراب وتباركوا منه وسدوا عليه باب المغارة ومضى كل واحد إلى مكان.

٣٠ ـ خـــــاتمـة

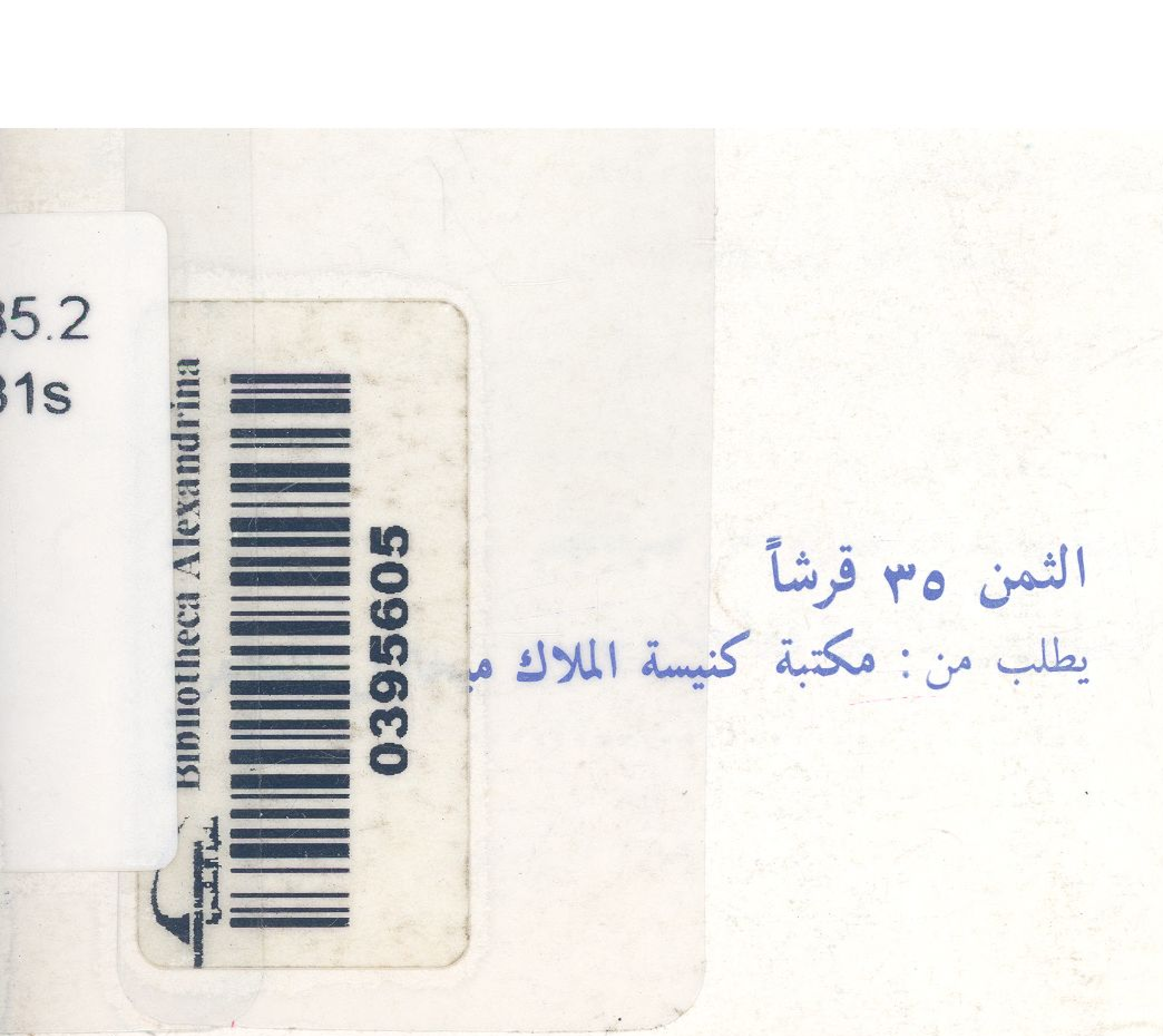
سيدنا يسوع المسيح الذى من جهة تحننه وصلاحه جاء لخلاص البشر ويأتى أيضاً فى مجده وجميع ملائكته القديسين معه. يعيننا جميعاً على خلاص نفوسنا بصلاة هذا القديس ايسيذورس ومعلمه العابد وكل القديسين الذين أرضوا الرب باعمالهم الصالحة آمين.

ليتمجد وليتبارك إسمه من الآن وإلى الأ بد آمين

(مخطوط رقم ٩٠ تاريخ . دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ـ بالبحر الأحمر).

فهـــرست





الثمن ٣٥ قرشاً

يطلب من : مكتبة كنيسة الملاك م